

هلاك وخلص النفس

تأليف: تومي ساوث

لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء، مات في الوقت المعين لأجل الفجار. فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار، ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت. ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا. فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب. لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته. وليس ذلك فقط، بل نفتخر أيضاً بالله بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة (رومية ٥: ٦-١١).

شارك بطرس في هذه الشهادة بقول: «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر. الذي بجلدته شفيتم» (بطرس الأولى ٢: ٢٤).

انه من الواضح ان الفكرة بان يسوع قدم نفسه طوعاً على الصليب لأجل خطايا العالم كله هي رسالة الإنجيل المقنعة.

ما قاله يسوع

يقول إنجيل متى ١٦: ٢١ بانه بعد اعتراف بطرس العظيم في قيصرية فيلبي، «ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى اورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويقتل، وفي اليوم الثالث يقوم». لقد كان على وشك ان يصعد إلى الطريق الذي يأخذه إلى الصليب. ولكنه تحدث عن أكثر من مجرد موته الوشيك: لقد دعى كل الذين يتبعونه أن يتخلوا عن حياتهم طوعاً. وبهذا قد أوضح معنى العبارة التي قالها يسوع في متى ١٠: ٣٨ و٣٩: من لا يأخذ صليبه ويتبعني، فلا يستحقني. ومن وجد حياته يضيعها؛ ومن أضاع حياته من أجلي، يجدها. كان يسوع نفسه

« من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى اورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويقتل، وفي اليوم الثالث يقوم. فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً: حشاك يا رب! لا يكون لك هذا! فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان! أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس.

حينئذ قال يسوع لتلاميذه: إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني، فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟ فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله. الحق أقول لكم: إن من القيام ههنا قوم لا يدوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته» (متى ١٦: ٢١-٢٨).

ما الذي يوجد في الإنجيل الذي يجعل رسالته تجتذب الملايين من الناس حول العالم؟ من الجلي انه يحتوي على كثير من ميزات بارزة جذابة. ولكن الأبرز من الكل هي الفكرة بان شخصاً يموت تطوعاً لأجل آخرين. تنبأ يسوع نفسه قائلاً: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض، أجدب إلى الجميع» (يوحنا ١٢: ٣٢). هذا ما تقوله الأسفار المقدسة بالضبط بان يسوع الناصري، ابن الله قد قام به. اعترف بولس بان «ابن الله... أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غلاطية ٢: ٢٠). وقال في مكان آخر:

سيموت، وكان يدعو تلاميذه لكي يتبعوه إلى الصليب ويضيعوا حياتهم لأجله.

عند التصريح بهذا الاعلان المرعب، اعطى يسوع ثلاثة متطلبات للتلمذة، وهي:

قال أولاً: «فلينكر نفسه». أرجو أن لا تجعل هذه العبارة تافهة! فانه عندما تحدث يسوع عن نكران النفس، لم يكن يتحدث عن التخلي عن الطعام أو الشراب المفضل أو الصوم أو تجنب حياة الملذات. ولم يكن يتحدث أيضاً عن الذهاب إلى الكنيسة والتبرع بالمال من حين لآخر. بل نكران النفس هو شيء لا يقل عن استنكار حق حياتك! هو ان تستسلم حياتك كلياً للرب يسوع المسيح لكي يفعل بها ما يراه مناسباً. كما قال بولس في كورنثوس الأولى ٦: ١٩ و ٢٠: «أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، وأنكم لستم لأنفسكم؟ لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله».

قال ثانياً: «ويحمل صليبه». هذا الصليب ليس قطعة من المجوهرات أو خشب مصقول مزين على الثوب، بل هو وسيلة الموت! الذين كانوا يسمعون يسوع ينطق بهذا الكلام، ما كان يصعب عليهم فهم أهمية الصليب. كان الرومان بالحقيقة قد ملأوا فلسطين بالصلبان كوسيلة للضغط على المتمردين ليكونوا تحت الخضوع. ان يحمل الشخص الصليب هذا يعني ان يقبل المصير نفسه الذي قد قبله يسوع.

قال ثالثاً: «ويتبعني». لم يدعو يسوع أصحابه ليتبعوا مثال صلاحه فقط، بل ليتبعوه اينما يقودهم - حتى ولو إلى الموت، إذا لزم الأمر.

ما عناه يسوع

بلا شك انك قد سمعت كل هذا قبلاً. يمكنك أن ترى من الكتاب المقدس ما كان يعني هذا للاثني عشر. ولكن ماذا يعني بالنسبة لنا؟ هل لا بد أن نموت لكي نصبح مسيحيين؟ هل يجب ان نطلب الاستشهاد لكي نكون ما أراد لنا يسوع ان نكون؟

ان حياة الكنيسة المبكرة في كتاب أعمال

الرسول توحى بغير ذلك. فاننا لا نرى المسيحيين الأولين يطلبون الموت على أيدي مضطهديهم، حتى ولو لم نراهم يهربون منها. التفسير العادي لدعوة يسوع للتلمذة هو انه ينبغي ان نكون مستعدين للنمو. إذا كان هذا التفسير صحيحاً، لا بد أن نتساءل ماذا يقصد يسوع بـ «نكران النفس»، و«حمل الصليب»، و«اتبعتني». ألا يأخذ التفسير العادي اللب من كلماته ويبتعد ليس الموت فقط بل أيضاً نكران النفس واتباع يسوع بإخلاص؟ هل يبدو أسهل مما ينبغي للتناسب مع جدية كلمات يسوع.

تساعدنا الآية ٢٥ لنرى المعنى الحقيقي لدعوة يسوع: «فإن من أراد أن يخلص نفسه، يهلكها؛ ومن يهلك نفسه من أجلي، يجدها». قارن يسوع هلاك النفس بخلاصها. إذا كان خلاص النفس لا يعني تجنب الموت فقط، بل منع حياتنا عن يسوع ونخلصها لمنفعتنا، إذا «هالك» نفوسنا يعني ان نستسلم للمسيح بغير تحفظ. قال يسوع باننا نفقد ما نحاول الاحتفاظ به لأنفسنا. ان في عملية البحث نفسها لكي «نحصل على كل ما نستطيع الحصول عيله» من الحياة لأنفسنا عوضاً عن تقديم أنفسنا ليسوع كخدامه، نفقد ما نحاول خلاصها. لا يمكن ان «نحيا حياتنا (لأنفسنا) ونتخلى عنها أيضاً في الوقت نفسه».

في محاولة بعض الناس لخلاص حياتهم من الامتلاء من نكران الذات والخدمة، يهلكونها. الحياة التي لا تستعمل لخدمة المسيح، هي حياة هالكة!

يجب علينا جميعنا ان نموت بمفهوم ما - ان نموت حقاً لكي نخلص حياتنا الروحية:

لا بد ان نموت عن الخطية: «كذلك أنتم أيضاً، احسبو أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا» (رومية ٦: ١١). توجد لكل منا آلاف «من الموت» لنموتها في فترة حياتنا وذلك ان نرفض الخطية قصداً ونختار ان نعمل إرادة الله عوضاً عن ذلك.

ثانياً: لا بد أن نموت عن الأناية: الإنسان الذي نسميه «الغني الغبي» في إنجيل لوقا ١٢: ١٢-٢١، لم يفكر عن شيئاً غير نفسه. عوضاً

الإجابة واضحة! ثانياً: « ماذا يعطي الإنسان فدية عن نفسه؟ » {الكلمة اليونانية التي ترجمت إلى « فدية » في هذه الآية هي: « انتلاكمال ἀντάλλαγμα » وتعني « بديلاً من؛ أو عوضاً عن »} الإجابة على هذا السؤال غير واضحة جداً كسابقها وهذه تتطلب اعتباراً خاصاً من جانب كل واحد منا. ماذا تعطي عوضاً عن نفسك؟ هذا يقود أيضاً إلى سؤال مزعج أكثر: إذا لم تتبع يسوع الآن، ما الذي تأخذ عوضاً عن نفسك؟ ان الاحتمالات هي بلا حدود! قد تأخذ المال، أو الاستمتاع، أو الشهرة، أو تأييد الأصدقاء والأسرة، أو أشياء أخرى لا تحصى عوضاً عن نفسك. مهما كانت الإجابة لحياتك، فهذا ما ترغب ان تأخذه عوضاً عن بركات الحياة الأبدية.

الخلاصة

نحن نحب قصة الإنجيل لأنها تخبرنا بان يسوع أسلم حياته لأجلنا. ولكي نكون جزءاً من هذه القصة، يجب أن نعطي حياتنا له. إذا كان هذا يبدو كأنه يطلب منك أكثر مما ينبغي، عليك أن تذكر حقيقتين:

هو أعطى أكثر. تقول الرسالة إلى أهل فيلبي ٢: ٥-١١ بأنه أخلى نفسه من حقوقه الإلهية أخذاً هيئة عبد وضع، وسمح بنفسه لأن يُقتل لأجلنا. لا يمكنك أبداً ان تعطي بهذا المقدار!

انه يأتي ليرى ما شئت ان تعطي لأجله (متى ١٦: ٢٧). هل أنت مستعد لذلك؟ إن لم تكن مستعداً، أعطي له حياتك اليوم. قل « كلا » لكل ما يمنعك من التحول إلى المسيح وقل « نعم » له الذي بذل كل شيء ليخلصك.

قد بذلت حياتي لأجلك،
ذلك الدم الغالي الذي سفكته،
لكي يكون لك فداء.
وقم عاجلاً من الموت؛
قد بذلت، قد بذلت حياتي لأجلك؛
ما الذي تعطيني بالمقابل

عن مشاركة بعض من ثرواته، فكر فقط بهدم مخازنه وبناء أخرى أكبر حجماً. علينا أن نستنكر بشدة الحق في ان نحيا بهذه الطريقة. سيسمح لنا الله بذلك، ولكن هذا يقود إلى موت محتوم. ثالثاً: علينا أن نموت عن كل شيء ما عدا إرادة الله. لكي نتبع يسوع، ينبغي ان تكون إرادة الله العامل الحاسم في حياتنا. الخطأ الكبير الذي ارتكبه بطرس في إنجيل متى ١٦: ٢٢ كان في انه لم يرد ان يموت عن إرادته ويقبل إرادة الله. عندما أعلن يسوع عن موته الوشيك، « ... أخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره، قائلاً: حاشاك يا رب، لا يكون لك هذا! » اكتفى بطرس بإرادته، وليس بإرادة الله. فصار « شيطان » فوبخه يسوع انه « معثرة » في طريقه: « لأنك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس ». لخص بولس مفاهيم نكران النفس، وحمل الصليب، واتباع يسوع بهذه الكلمات:

فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية. ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة (رومية ١٢: ١ و ٢).

يجب على المسيحيين ان يعيشوا مثل يسوع، ان نتخلي عن حياتنا تطوعاً لأجل بعضنا البعض، لأن يسوع هو الذي أسلم حياته لأجلنا.

لماذا قال يسوع هذا

يفسر لنا إنجيل متى ١٦: ٢٦ و ٢٧ لماذا نحتاج إلى مثل هذه الإجراءات القاسية. ان يوم الحساب آتياً، الذي فيه نمتحن لرؤية ما إذا استخدمنا حياتنا لأنفسنا أو لأجل المسيح: « فإن ابن الإنسان سيأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله » (متى ١٦: ٢٧). نظراً لهذا، تطرح الآية ٢٦ سؤالين مزعجين. أولاً: « ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ » لكل أسف،

الكلمة اليونانية لـ « شيطان » هي ترجمة لكلمة عبرية تعني « خصم أو عدو ». عند معارضة خطة الله، أصبح بطرس عدو يسوع عوضاً عن صاحبه.

قال أب ينصح ابنه المتذمر والمخفق: يا
بنيّ كل ما تحتاج إليه هو التشجيع وضربة
خفيفة في قاعدة « غير الممكن ».

الحياة هي عملية مستمرة للتعويد على
أشياء لم تكن نتوقعها.

اقتباسات

المسيحية هي فرصة للعمل

الإنسان المتشائم هو الذي ينظر إلى العالم
من خلال نظارة ويلات ملونة.

بقلم/ كولمس

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧